دار الكتب المصرية
مكتبة المطالب
رقم عام :
تاريخ الورود

المقدمة :-

الحمد لله فاتحة كل خير ، وتمام كل نعمة ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيدهم وأسعدهم سيدنا ومولانا محمد رسول الله ، إمام المرسلين وخاتمهم صلاة وسلاما يتعاقبان على شبكهما الشريف آل بيته الأطهار ، وصحبه الأخيار ، وسائر إخوته من رسل الله وأنبيائه ، وبعد

فهذه أطروحتي لنيل درجة الماجستير عن الآراء النقدية والبلاغية لصلاح الدين الصفدى تلك التي بثها في غضون شرحه على أبيات لامية العجم في كتابه المسمى بالغيث المسجم في شرح لامية العجم .

والحق أنني لم أكد أفرغ من السنة التمهيدية للماجستير حتى وليت وجهي شطر ثلاثة كتب من تلك التي تعتبر من أهم إسهامات علماء العصر المملوكي وأدبائه في بناء صرح المعرفة الشامخ ، وهذه الكتب هي : الغيث المسجم في شرح لامية العجم لصلاح الدين الصفدى ، ومطالع البدور في منازل السرور لعلاء الدين الغزولي ، وحلبة الكميت لشمس الدين النواجي .

ووقفت إزاء هذه الكتب وقفة ليست بالقصيرة فقد كنت أقرأ ، وأوازن ، وأقارن ، حتى وجدت الغيث من أغزر هذه الكتب بالمادة العلمية المتنوعة ، ومن أحفلها بالآراء النقدية والبلاغية الهامة ، ومن أكثرها دلالة على شخصية صاحبه العلمية ، ومن ثم لم أتردد في درسه وبحثه حينما أشار عليّ بذلك أستاذى الكريم الدكتور محمد زغلول سلام حيث شمرت عن ساعد الجد ، وقمت بجمع المادة العلمية الخاصة بآراء الصفدى النقدية والبلاغية من الكتاب ، وقد لاحظت عليها أمورا لعل من الخير أن أسجلها هنا .

أولا : كانت هذه الآراء مفرقة في الغيث كله من أوله الى آخره ، ولما كان الكتاب غير محقق ، ولما كان الكتاب منشورا نشرتين إحداهما تجارية بيروتية ، والأخرى وهي الأقدم إذ طبعت بالمطبعة الأزهرية من مائة عام أو يزيدون (١) فقد خلا الفهرس أو كاد من الإشارة إلى مواضع هذه الآراء النقدية والبلاغية في الكتاب ، الأمر الذى أدى بي إلى قراءة الغيث كله من أوله إلى آخره كلمة كلمة لأستخرج ماحوى من هذه الآراء ، وقد كان في ذلك مافيه من المشقة والعناء .

---

١- طبعت الطبعة الأولى من الغيث بالمطبعة الأزهرية المصرية عام ١٣٠٥هـ أى من ١٠٦ مائة عام وستة أعوام ، ومن هذه الطبعة من الكتاب نسخة بمكتبة دار الكتب والوثائق القومية بمدينة طنطا وقد طبع على هامشها كتاب سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لجمال الدين بن نباتة ، وقد كنت أعتمد عليها في أول الأمر حتى يسر الله لي أمر الحصول على نسخة من الطبعة البيروتية عن طريق أستاذى الجليل الدكتور محمد زغلول سلام .

ثانيا : وعلى الرغم من أن هذه الآراء النقدية والبلاغية كانت مبعثرة فى الغيث بجزئيه إلا أنه كان يصعب الإهتداء منها إلى الفكرة أو الموضوع النقدى أو البلاغى بعد جمعها وقراءتها مفرقة ومعزولة عن بعضها ، لأن هذه الآراء جميعها كانت فى صورة تعقيبات على مايورد الصفدى من أبيات ، ومن ثم كان على أن أقوم بجهد ثان تمثل فى قراءة هذه الآراء بعد جمعها مرة ثانية ثم ترتيبها وتصنيفها حسب موضوعاتها فى مجموعات تنتظم كل مجموعة منها عددا من الآراء فى موضوع واحد أو قضية واحدة ولم يتيسر لى ماأردت إلا بعد جهد جهيد ·

ثالثا : ثم بدا لى بعد القراءة والدرس أن فى هذه الآراء عددا كبيرا ليس للصفدى فيه من فضل سوى الجمع والنقل عن كتب الأدب الجامعة ، وكتب النقد والبلاغة السابقة عليه فحذفتها ، وأخرجتها من حيز البحث والدرس النقدى والبلاغى مع الإستفادة منها فيما يتصل بشخصية الصفدى العلمية أو فيما يتصل بمصادر الغيث المسجم الأدبية والنقدية ·

وقد رأيت أن المنهج العلمى يحتم على قبل أن أدرس هذه الآراء أن أعرف بالصفدى وثقافته وبالكتاب وموضوعه الأمر الذى جعلنى أقدم هذه الرسالة فى بابين جعلت أحدهما لدراسة الصفدى وكتابه ، وجعلت الثانى لدراسة آراء الصفدى النقدية والبلاغية ·

أما الباب الأول فقد جعلت عنوانه " الثقافة والمنهج " وأتى فى أربعة فصول ، جعلت الفصل الأول منها للحياة الفكرية فى العصر المملوكى ، ومنهج علمائه فى البحث والدرس والتأليف العلمى وقد تحدثت فيه عن مكانة مصر ودورها فى الحياة الفكرية فى العصر ثم تحدثت عن مظاهر انتعاش الحياة الفكرية فى مصر فى العصر المملوكى ثم وصفت الحياة الفكرية فى الشام ، وبنيت عوامل إذكائها ومظاهر انتعاشها ، وتحدثت بعد ذلك عن صورة الحياة الفكرية فى العصر كما رسمها الصفدى فى الغيث ثم ختمت هذا الفصل بالحديث عن منهج علماء العصر فى التأليف والتصنيف ·

وقد انتهيت من هذا الفصل بأن الغيث المسجم يمثل صورة الحياة الفكرية فى العصر المملوكى بكل ملامحها ، وسماتها ، وأطرها ، لأنه صور هذه الحياة بوجهيها المشرق والمعتم أو المنير والمظلم حين تحدث عنها فى جدها وهزلها ، وفى مراعاتها للتقاليد والأعراف وخروجها عن هذه التقاليد ، وهذه الأعراف ·

وجعلت الفصل الثانى من فصول هذا الباب الأول لثقافة الصفدى حيث تحدثت عن ترجمته بين النجوم الزاهرة ، والمنهل الصافى ، وسلطت الضوء على نشأته ومواهبه ثم أخذت أتحدث عن العلوم التى نبغ فيها كالتاريخ واللغة والنحو ، والأدب ، والفقه ، وعلم الكلام ، وعلوم الأوائل ، وغيرها ، ثم ختمت هذا الفصل بالحديث عن تدين الصفدى وأخلاقه ، ومكانته بين أهل عصره ·

وجعلت الفصل الثالث من فصول هذا الباب لدراسة مصادر الغيث ، تلك التى تنوعت فى موضوعاتها تنوعا كبيرا حيث كان منها الكتاب الأدبى والكتاب النقدى ، والكتاب البلاغى ، والكتاب التاريخى ، والكتاب الدينى ، والكتاب العلمى ، كما كان منها النقل الشفهى عن معاصريه من أساتذته وشيوخه وأترابه من العلماء والأدباء ، هذا خلا ملاحظاته ومشاهداته الشخصية التى رآها بالقاهرة والاسكندرية ودمشق وغيرها من بلدان مصر والشام فى ذلك العصر .

وجعلت الفصل الأخير من فصول هذا الباب لدراسة منهج الصفدى فى الغيث ، وقد تحدثت فيه عن الأسباب التى دعت الصفدى الى تأليف كتابه ، والظروف التى مر بها أثناء تأليفه ، ثم تحدثت عن منهج شرح اللامية كما اشترطه الصفدى على نفسه فى مقدمة الكتاب ، وبينت إلى أى مدى وصل التزامه بهذا المنهج ، ثم عنّ لى عدد من الملاحظات التى أبرزتها قراءتى للغيث فسجلتها ، وتحدثت بعد ذلك عن منهج الصفدى فى شرح أبيات اللامية ، ومظاهر غلبة النزعة التعليمية على هذا الشرح ثم تحدثت عن النوادر والفكاهات التى بثها الصفدى فى غضون كتابه ، وختمت هذا الفصل بلامية الطغرائى بعد أن أوردتها مرقمة ، ومرتبة كما أوردها الصفدى فى الغيث .

وانتهى بذلك الباب الأول ليبدأ الباب الثانى الذى يحمل عنوان " الآراء النقدية والبلاغية " وقد جعلت عنوان الفصل الأول من فصول هذا الباب " الشعر وعروض الخليل " ذلك لأن الصفدى قد تحدث فى مقدمة الغيث عن عروض لامية الطغرائى واستطرد فى هذا الحديث إلى ذكر أشياء كثيرة عن العروض والقافية ، تحمل دلالات نقدية وبلاغية هامة كان على أن أعرضها أولا ثم كان على أن أقف منها بعد ذلك موقفا خاصا يتعدى مرحلة العرض إلى المناقشة والتقييم ومن ثم عرضت أهم الجوانب التى دار حولها حديث الصفدى عن علم العروض والتى تمثلت فى الأصل اللغوى للكلمة والحديث عن الخليل بن أحمد ووضعه لأصول هذا العلم ، وموقف الصفدى من تعلم العروض ، وقد بينت أنه يقف من هذه القضية موقفا وسطا حيث دعا إلى تعلم مايمكن تعلمه من مباحث هذا العلم لأنه يقف خارج دائرة الإبداع الفنى ، ولا يعدو أن يكون ميزانا يوزن به الشعر ويعرف به صحيحه من سقيمه لا أكثر ، ولا أقل .

وعند الحديث عن تعريف الصفدى للعروض قارنت بينه وبين ناقد ذوقى نصى من نقاد القرن الرابع الهجرى وهو ابن طباطبا العلوى صاحب كتاب عيار الشعر ، حيث ظهر تأثر الصفدى به ، والتقى معه فى تعريفه للشعر دون أن يشير إليه بكلمة واحدة على الرغم من أنه يعرفه جيدا حيث أورد له فى الغيث الكثير من النصوص الشعرية فى الحكم والأخلاق .

وتطرق الحديث بعد ذلك إلى العلاقة بين عروض الشعر العربى وموسيقا الشعر اليونانى ، وعن

الآثار التي يتركها الشعر في النفس الانسانية ثم تحدثت بعد ذلك عن أنواع القوافي عند الصفدي والصفدي يقسم القوافي إلى نوعين القوافي المتمكنة التي قد رسخت في قرارها على حد قوله ، والقوافي القلقة التي جلبت لإتمام الوزن ، ووضحت أن الصفدي يدعو إلى أن تكون القوافي من جنس ألفاظ الأبيات فصاحة ، وعذوبة ، وقوة ، ووضحت أنه يدعو إلى أن يحكم الشاعر بيته حتى يكون كالبناء المتماسك الذي يشد بعضه بعضا ، ثم ختمت هذا الفصل بالحديث عن رأي الصفدي في تغيير قوافي لامية الطغرائي حيث يرى أن ذلك يتعذر ولا يمكن لأي شاعر أن يغير قوافي اللامية إلا إذا هدم ركنا أساسيا من أركان كل بيت من أبياتها ثم تفرع الحديث عند هذه الفكرة وتشعب فبسطت رأي الصفدي في تغيير قوافي القصائد الجيدة عموما حيث يرى أن تغيير قافية البيت أو البيتين أمر يهون وحيث يرى أن الشاعر يمكنه بناء قصيدته على قافيتين مختلفتين لأنه يراعي ذلك في أصل التركيب ، كما بسطت رأيه في اتفاق الشاعرين في الأبيات وتخالفهما في القافية .

وجعلت الفصل الثاني من فصول هذا الباب لموقف الصفدي من المتنبي ، حيث عاب الصفدي على المتنبي تكراره لبعض الألفاظ الثقيلة ، وتعرض لبعض آراء ابن وكيع التنيسي في شعر المتنبي فنقدها وعارضها ، وتحدث عن معاني أبي الطيب المتنبي فوصفها بالعمق والقوة ، ولاحظ أن اهتمام المتنبي بالمعنى الشعري قد جار على اهتمامه بالألفاظ فوقع في كثير من الأخطاء اللغوية ، ووقع في كثير من المبالغات والتناقضات أيضا ، وقد ضرب الكثير من الأمثال على هذه الأخطاء والتناقضات من شعر المتنبي وأصاب في بعضها وأخطأ في البعض الآخر ثم تحدثت عن سرقات أبي الطيب المتنبي ووافق بعض النقاد على اتهامهم له بالسرقة وخالف بعضهم الآخر في هذا الاتهام .

وقد لاحظت أن الصفدي في كل هاتيك النصوص التي تحدث فيها عن أبي الطيب المتنبي وناقديه كان ظاهر الشخصية ، وكان مستقل الرأي ، وكان يوافق الآخرين عن اقتناع كامل وكان يخالفهم حين يخالف ، ويعارضهم حين يعارض بأدلة وحجج قوية ومقنعة ، وقد ظهرت ملكة النقد الأدبي عند الصفدي واضحة جلية في هذه النصوص التي تناول فيها شعر أبي الطيب .

ثم جاء الفصل الثالث من فصول هذا الباب وجعلت عنوانه " الصفدي وشعر ابن سناء الملك" وقد جمعت فيه تلك النصوص التي تعرض فيها الصفدي لشعر ابن سناء بالنقد والتحليل ودرستها وقد رأيت أن المحور الذي تدور عليه آراء الصفدي في شعر ابن سناء هو تلك النصوص التي أوردها من كتاب شرف الدين بن جبارة في التعليق على شعر ابن سناء الملك حيث كان الصفدي يورد النص من كتاب ابن جبارة ثم يعلق على ما به من الآراء النقدية والبلاغية ، وقد كان في الأغلب الأعم يقف منها موقف المعارض الرافض ، وقد دافع الصفدي عن ابن سناء الملك دفاعا بديعا على حد قول الأستاذ

الدكتور شوقي ضيف فقد اتهم ابن جبارة ابن سناء الملك بعدم فهم الشعر فهما صحيحا الأمر الذى يؤدى به إلى الوقوع فى الخطأ عند محاكاة الأقدمين ، وعاب تكراره لبعض ألفاظ أبياته ، وتضمينه للأمثال بألفاظها ، ومخالفته لطرائق العرب فى التعبير والأداء الشعرى ، وقد رد الصفدى على كل ذلك ، وفند ما يحتوى عليه نقد ابن جبارة من الأباطيل والأغاليط المقصودة ثم تحدث بعد ذلك عن بعض سرقات ابن سناء الملك من المتنبى .

وقد خرجت من هذا الفصل بأن الصفدى يرى فى ابن سناء الملك شاعرا مبدعا لم ملكاته ، وله طاقاته الشعرية ، وله فلتاته من الصور الشعرية الجميلة ذات المعارض اللفظية الأنيقة .

أما الفصل الرابع من فصول هذا الباب فقد جعلت عنوانه السرقات الشعرية وجمعت فيه كل النصوص التى تتعلق بسرقات الطغرائى ودرستها لأنى كنت أضع نصب عينى هدفا محددا وهو أن أتبين إلى أى مدى وفق الصفدى فى خدمة اللامية وإلى أى مدى استطاع أن يقف بنا على معانى الطغرائى المبتكرة فى هذه القصيدة ، ودرست فى هذا الفصل أيضا مظاهر تأثر الشعراء بألفاظ ومعانى لامية الطغرائى ثم تحدثت عن بعض النصوص التى تناول فيها الصفدى شعر الأيوبيين والمماليك بالنقد والتحليل ثم ختمت هذا الفصل بوقفة قصيرة مع بعض النصوص التى تعرض فيها الصفدى لشعر صدر الدين بن الوكيل لما تحمل من أهمية خاصة .

وقد ختمت هذا الباب بالفصل الخامس والذى جعلت عنوانه "الفنون البلاغية فى الشرح " وداره الحديث فيه عن بعض فنون علمى البيان والبديع ، وهى تلك التى تحدث عنها الصفدى فى كتابه .

وقد قمت بعد ذلك بكتابه ملخص لآراء الصفدى النقدية فيما يتصل باللفظ ومعناه داخل العمل الشعرى وقد سميت هذا الملخص " مجمل لاراء صلاح الدين الصفدى فى النقد " وبهذا المجمل تنتهى الرسالة ، وقد قمت بعد ذلك بذكر أهم النتائج إلتى توصل اليها هذا البحث فى الخاتمة .

وهناك رسالتان جامعيتان ليستا فى موضوع بحثى ، وإنما عالجت أو مست كل واحدة منهما موضوع رسالتى مسا خفيفا ـ إذا جاز لى مثل هذا التعبير .

أما الرسالة الأولى فهى تلك التى تقدمت بها الباحثة نهاد فليح لنيل درجة الدكتوراة فى الآداب من كلية الآداب ، جامعة القاهرة فى السبعينات من هذا القرن وهى بعنوان " نشاط الصفدى فى النقد والبلاغة " وهى رسالة كما يبدو ومن عنوانها ومن المشكلات العلمية التى أثارتها تحرص على جمع آثار الرجل فى النقد والبلاغة وتصنيفها ، ودرسها وكان من بين آثاره التى تحدثت عنها كتاب

الغيث المسجم فى شرح لامية العجم الذى هو موضوع رسالتى ، فهو يشكل جزءا من موضوع رسالتها إلا أنه لم يأخذ حقه من الدرس والبحث ، حيث جاء الحديث عنه فى ثلاث عشرة صفحة هى الصفحات من الصفحة الثانية والثمانين وحتى الصفحة الخامسة والتسعين .

وبدهى أن دراسة كتاب كبير يقع فى مجلدين من القطع الكبير وتبلغ صفحاته ٩١٦ صفحة خلا صفحات الفهارس الفنية فى ثلاث عشر صفحة أمر يستحق الدهش ، ويوجب إعادة النظر فيما حققته هذه الدراسة وما وصلت إليه من نتائج تتعلق بهذا الكتاب ومباحثه .

وعلى أيه حال فالباحثة ليست ملومة فيما فعلت لأن هذا الكتاب يشكل جزءا من كل فى رسالتها ذات الموضوع المحدد ، والتى يغلب عليها منهج الجمع والتصنيف الموضوعى ، حيث كان هدفها حصر كل آثار الرجل لا فى النقد وحده ، وإنما فى النقد والبلاغة معا والحديث عنها ، واستنباط ما سمته بمقاييس الصفدى النقدية والتى أرجعتها إلى ما سمته بالمقياس الفنى والمقياس الروحى والمقياس الأخلاقى .

وعلى هذا فالفرق واضح بين موضوع رسالة الباحثة ، وموضوع رسالتى ، فموضوعها يغلب عليه الحصر والجمع لكل آثار الرجل فى النقد والبلاغة ، وموضوعى يقف عند واحد فقط من هذه الآثار وهو ذلك الكتاب الذى ابراره على شرح لامية الطغرائى الموسومة بلامية العجم .

وموضوعى وهو إذ يقف عند هذا الكتاب الهام من كتب الصفدى يسلط أشعة من الضوء الكاشف على مصادره الأدبية والنقدية ويبحث عددا من القضايا الهامة التى تندرج تحت تلك الطريقة التى آثرها الصفدى فى تأليفه وصوغ مباحثه ، كما ينحو فى معالجة دراسة الكتاب دراسة نقدية منحى آخر يعتمد على محاولة الكشف عن مواقف الرجل كناقد وبلاغى من قضايا نقدية كبرى أهمها موسيقا الشعر والسرقات الشعرية ، ومن شعراء موهوبين كالمتنبى وابن سناء الملك . هذا عن الرسالة الجامعية الأولى ، أما الرسالة الثانية فهى تلك التى تقدم بها الباحث إبراهيم محمد منصور لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة طنطا وهى بعنوان " شروح لامية العجم دراسة تحليلية نقدية " وموضوعها يتصل برسالتى من حيث كون الغيث أحد بل أهم شروح لامية العجم وأكبرها حجما إلا أن دراسة جميع شروح لامية العجم المطبوعة والمخطوطة فى رسالة جامعية واحدة يعتبر مجازفة خطيرة ، وغير مأمونة العواقب ، وذلك لسعة الموضوع وتشعبه من ناحية ولكثرة هذه الشروح من ناحية أخرى الأمر الذى جعل هذه الرسالة أشبه ما تكون بالمقارنة بين الشروح وكان منهجها يغلب عليه الوقوف على أوجه التشابه والاختلاف بين هذه الشروح فى معالجة أبيات اللامية لغويا وأدبيا ونقديا

ومن ثم تاه الغيث وسط هذا الركام الهائل من النصوص التى نقلها الباحث من الشروح المختلفة بغية المقارنة بينها ، وجانب الصواب فى عدد من الأحكام التى أصدرها على الصفدى وكتابه ، ولو أن الباحث تناول هذه الشروح جميعها بالدرس ، وتتبع فى درسه المنهج التحليلى واستند فى ذلك على التسلسل التاريخى للشروح واضعا نصب عينيه الوقوف على أسرار كل شرح وتبيان خصائصه التى ينفرد بها ويتميز ويستقل بها عن بقية الشروح لكان من الممكن أن يصل فى ذلك إلى نتائج مجدية على الرغم من وعورة هذا الطريق وصعوبته .

ورسالتى إذن تلتقى مع رسالة الباحث من حيث إن موضوعها والكتاب الذى تتعرض له بالدرس كان أحد تلك الكتب التى تناولتها الرسالة السابقة ، إلا أنها تختلف معها فى كثير من النقاط أولها التركيز على شرح واحد فقط من هذه الشروح ودراسته دراسة مستفيضة تحاول أن تستشف تلك الخصائص التى يتميز بها ، عن طريق درسه فى إطار عصره ومن حيث كونه دالا على الحياة الفكرية فى عصره من ناحية وعلى ثقافة صاحبة وشخصيته العلمية من ناحية ثانية وعن طريق البحث مما يحوى من مضامين نقدية وبلاغية ، وآراء فى الشعر والشعراء .

ومن هذا العرض لهاتين الرسالتين الجامعيتين تتضح أهمية الموضوع الذى أقوم بدرسه حيث لم يتناوله باحث قبلى ـ فيما أعلم ـ بالدرس والبحث العلمى لا على هذا النحو الذى قمت بدرسه عليه ، ولا على نحو آخر يخالفه أو يوافقه .

وقد أفدت فى دراسة هذا الموضوع من كثير من المصادر القديمة ، والمراجع الحديثة التى تناولت العصر المملوكى ، وترجمت لرجاله ، ودرست الكثير من الظواهر الأدبية فى ذلك العصر ، وقد الحقت فى نهاية الرسالة قائمة بتلك المصادر والمراجع ، والشىء الذى أحب أن ألفت الأنظار إليه فى هذا المجال هو أن هذه الدراسة كانت تعتمد على نصوص الغيث بالدرجة الأولى فى بابيها ، فقد كانت نصوصه بمثابة المحور الذى تدور عليه مباحث الأبواب والفصول ، فهى إذن دراسة نصية بالدرجة الأولى تحاول أن تستنطق الغيث ، وتستنبط من نصوصه مواقف الرجل النقدية والبلاغية وآراءه النقدية والبلاغية كما تحاول أن تلتمس السمات الدالة على شخصية الصفدى من هذه النصوص .

وقد كان لأستاذى الجليل السيد الأستاذ الدكتور / محمد زغلول سلام أكبر الأثر فى هذا العمل فقد تفضل بالإشراف عليه وحظى من رعايته وعنايته بما لا أستطيع القيام بشكره ، حيث كان الموشد و المعين والمشجع على العمل والبحث طوال سنوات الدرس وأشهد أنى ما كنت أستطيع أن أصل إلى ما وصلت اليه لولا جهود أستاذى وإرشاداته وتوجيهاته التى كانت تأخذ بيدى ، وتهدينى إلى سواء

الصراط، ولا يسعنى إلا أن اعترف بما غمرنى به من الفضل ، وما أولانـى من العطـف وما حبانـى به من عناية ورعاية ، وأتقدم إليه بخالص الشكر والتقديـــر .

وبعد ، فهذه محاولـة قمـت بهـا جادا مخلصا فإن تكن نافعـة فا الحمد لله على ما هدى واليه وأعان عليه ، وإن كانت غير ذلك فالخير أردت ، والجهد بذلت ، ونية المرء خير من عملـه وأستغفر الله والعلم ، والحمد لله أولا واخرا ، وعليه ـ سبحانه ـ قصد السبيـــل .

.....